

## تفسير البحر المحيط

@ 243 @ أجله ، وجوزوا أن يكونا مصدرين في موضع الحال ، أي : معتدين وطالمين . وقرء  
عدواناً بالكسر . وقرأ الجمهور : نصليه بضم النون . وقرأ النخعي والأعمش : بفتحها من  
صلاة ، ومنه شاة مصلية . وقرء أيضاً : نصليه مشدداً . وقرء : يصليه بالياء ، والظاهر  
أن الفاعل هو ضمير يعود على اﷻ أي : فسوف يصليه هو أي : اﷻ تعالى . وأجاز الزمخشري أن  
يعود الضمير على ذلك قال : لكونه سبباً للمصلي ، وفيه بعد . ومدلول ناراً مطلق ،  
والمراد واﷻ أعلم تقييدها بوصف الشدة ، أو ما يناسب هذا الجرم العظيم من أكل المال  
بالباطل وقتل الأنفس . .

{ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } ذلك إشارة إلى إصلائه النار ، ويسره عليه  
تعالى سهولته ، لأن حجه بالغة وحكمه لا معقب له . وقال الزمخشري : لأن الحكمة تدعو إليه  
، ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه ، وفيه دسيعة الاعتزال . .  
{ إِنَّ تَجْزِيَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِمَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }  
وَنُذْخِلْكُمْ مِّنْ دُخَانٍ كَرِيمًا { مناسبة هذه الآية ظاهره ، لأنه تعالى لمّا ذكر  
الوعيد على فعل بعض الكبائر ، ذكر الوعد على اجتناب الكبائر . والظاهر أنّ الذنوب  
تنقسم إلى كبائر وسيئات ، وهي التي عبر عنها أكثر العلماء بالصغائر . وقد اختلفوا في  
ذلك ، فذهب الجمهور إلى انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر ، فمن الصغائر النظرة واللمسة  
والقبلة ونحو ذلك مما يقع عليه اسم التحريم ، وتكفر الصغائر باجتناب الكبائر . وذهب  
جماعة من الأصوليين منهم الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني ، وأبو المعالي ، وأبو نصر عبد  
الرحيم القشيري : إلى أن الذنوب كلها كبائر ، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما  
هو أكبر منها ، كما يقال : الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر ، والقبلة المحرّمة صغيرة  
بالنسبة إلى الزنا ، ولا ذنب يغفر باجتناب ذنب آخر ، بل كل ذنب كبيرة وصاحبه ومتركبه في  
المشيئة غير الكفر . وحملوا قوله تعالى : كبائر ما تنهون عنه على أنواع الشرك والكفر  
قالوا : ويؤيده قراءة كبير على التوحيد ، وقوله صلى الله عليه وسلم ) : ( من اقتطع حق  
امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ) فقال له رجل : يا رسول الله  
وإن كان يسيراً ؟ قال : ( وإن كان قضيماً من أراك ) فقد جاء الوعيد على اليسير ، كما  
جا على الكثير . وروي عن ابن عباس مثل قول هؤلاء قال : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة . .  
والذين ذهبوا إلى انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر ، وأن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر  
على ما اقتضاه ظاهر الآية وعضده الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ) في صحيح

مسلم من قوله : ( ما من امرء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله ) وفي صحيح مسلم : ( الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ) . .

واختلفوا في الكبائر فقال ابن مسعود : هي ثلاث ، القنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله . وروي عنه أيضا أنها أربع : فزاد الإشراك بالله . وقال علي : هي سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار يوم الزحف ، والتعرب بعد الهجرة . وقال عبيد بن عمير : الكبائر سبع كقول علي في كل واحدة منها آية في كتاب الله ، وجعل الآية في التعرب : { إِنَّ الْكَافِرِينَ أَرْسُلُوا عَلَيْهِمْ الْآيَاتُ أَنْ يُبَارِكُوا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى } الآية وفي البخاري : { اتَّقُوا اللَّهَ \* السَّبْعُ } فذكر هذه إلا التعرب ، فجاء بدله السحر . وقد ذهب قوم إلى أن هذه الكبائر هي هذه السبع التي ثبتت في البخاري . وقال ابن عمر : فذكر هذه إلا السحر ، وزاد الإلحاد في المسجد الحرام . والذي يستسخر